ساورثكم وهي قراءة حسنة يصححها قوله واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون سأصرف عن آياتي بالطبع على قلوب
المتكبرين وخذلانهم فلا يفكرون فيها ولا يعتبرون بها غفلة وانهماكا فيما يشغلهم عنها من شهواتهم وعن فضيل بن عياض
ذكر لنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا عظمت امتي الدنيا نزع عنها هيبة الاسلام واذا تركوا الامر بالمعروف والنهي
عن المنكر حرمت بركة الوحي وقيل سأصرفهم عن ابطالها فاذا اجتهدوا كما اجتهد فرعون ان يبطل اية موسى بان جمع
لها السحرة فابى الله الا علو الحق وانتكاس الباطل ويجوز سأصرفهم عنها وعن الطعن فيها والاستهانة بها وتسميتها سحرا
باهلاكهم وفيه انذار للمخاطبين من عاقبة الذين يصرفون عن الايات لتكبرهم وكفرهم بها لئلا يكونوا مثلهم لتقبل الكبر
اي يتكبرون على الخلق بغير الحق وما هم عليه من دينهم وان يروا كل آية من الايات المنزلة عليهم لا يؤمنوا بها وقرأ مالك بن
دينار وان يُروا بضم الياء وقرئ سبيل الرشد والرشد والرشاد كقولهم السقم والسقم والسقام وما اسفه من ركب
المفازة فان رأى طريقا مستقيما اعرض عنه وتركه وان رأى معتسفا مرديا اخذ فيه وسلكه ففاعل نحو ذلك في دينه
اسفه ذلك في محل الرفع او النصب على معنى ذلك الصرف بسبب تكذيبهم او صرفهم الله ذلك الصرف بسببه ولقاء الآخرة
يجوز ان يكون من اضافة المصدر الى المفعول به اي ولقائهم الآخرة ومشاهدتهم احوالها ومن اضافة المصدر الى الظرف بمعنى
ولقاء ما وعده الله في الآخرة من بعده من بعد فراقه اياهم الى الطور فان قلت لم قيل واتخذ قوم موسى عجلا والمتخذ هو
السامري قلت فيه وجهان احدهما ان ينسب الفعل اليهم لان رجلا منهم باشره ووجد فيما بين ظهرانيهم كما يقال
بنو تميم قالوا كذا وفعلوا والقائل والفاعل واحد ولانهم كانوا مريدين لاتخاذه راضين به فكانهم اجتمعوا عليه والثاني
ان يراد واتخذوه الها وعبدوه وقرئ من حُليهم بضم الحاء والتشديد جمع حلي كثدي وثُدي ومن حِليهم بالكسر
للاتباع كدلي ومن حليهم على التوحيد والحلي اسم ما يتحسن به من الذهب والفضة فان قلت لم قال من حليهم
ولم يكن الحلي لهم انما كانت عواري في ايديهم قلت الاضافة تكون بادنى ملابسة وكونها عواري في ايديهم كفى به
ملابسة على انهم قد ملكوها بعد المهلكين كما ملكوا غيرها من املاكهم الا ترى الى قوله عز وعلا فاخرجناهم من جنات وعيون
وكنوز ومقام كريم كذلك واورثناها بني اسرائيل جسدا بدنا ذا لحم ودم كسائر الاجساد والخوار صوت البقر قال
الحسن ان السامري قبض قبضة من تراب اثر فرس جبريل يوم قطع البحر فقذفه في فم العجل فكان عجلا له خوار
وقرأ علي رضي الله عنه جؤار بالجيم والهمز من جأر اذا صاح وانتصاب جسدا على البدل من عجلا الم يروا حين اتخذوه
الها انه لا يقدر على كلام ولا على هداية سبيل حتى لا يختاروه على من لو كان البحر مدادا لكلماته لنفد البحر قبل ان تنفد كلماته
وهو الذي هدى الخلق الى سبيل الحق ومناهجه بما ركز في العقول من الادلة وبما انزل في كتبه ثم ابتدأ فقال اتخذوه اي
اقدموا على ما اقدموا عليه من الامر المنكر وكانوا ظالمين واضعين كل شيء في غير موضعه فلم يكن اتخاذ العجل بدعا منهم
ولا اول مناكيرهم ولما سقط في ايديهم ولما اشتد ندمهم وحسرتهم على عبادة العجل لان من شأن من اشتد ندمه وحسرته
ان يعض يده غما فتصير يده مسقوطا فيها لان فاه قد وقع فيها وسقط مسند الى في ايديهم وهو من باب الكناية وقرأ
ابو السميفع سقط في ايديهم على تسمية الفاعل اي وقع العض فيها وقال الزجاج معناه سقط الندم في ايديهم اي في قلوبهم وانفسهم
كما يقال حصل في يده مكروه وان كان محالا ان يكون في اليد تشبيها لما يحصل في القلب وفي النفس بما يحصل في اليد ويرى بالعين
ورأوا انهم قد ضلوا وتبينوا ضلالهم تبينا كانهم ابصروه بعيونهم وقرئ لئن لم ترحمنا ربنا وتغفر لنا بالتاء وربنا بالنصب
على النداء وهذا كلام التائبين كما قال آدم وحواء عليهما السلام وان لم تغفر لنا وترحمنا الاسف الشديد الغضب
فلما آسفونا انتقمنا منهم وقيل هو الحزين بئسما خلفتموني قمتم مقامي وكنتم خلفائي من بعدي وهذا الخطاب اما ان يكون
لعبدة العجل من السامري واشياعه او لوجوه بني اسرائيل وهم هارون عليه السلام والمؤمنون معه ويدل عليه قوله اخلفني
في قومي والمعنى بئسما خلفتموني حيث عبدتم العجل مكان عبادة الله او حيث لم تكفوا من عبد غير الله فان قلت اين ما

مقتضيه

مقتضيه بئس من الفاعل والمخصوص بالذم قلت الفاعل مضمر يفسره من بعدي قوله خلفتموني تقديره بئس خلافة خلفتمونيها من بعدي
خلافتكم فان قلت اي معنى لقوله من بعدي بعد قوله خلفتموني قلت معناه من بعد ما رأيتم مني من توحيد الله ونفي الشركاء عنه واخلاص
العبادة له او من بعد ما كنت احمل بني اسرائيل على التوحيد واكفهم عما طمحت نحوه ابصارهم من عبادة البقر حين قالوا اجعل لنا الها كما لهم
آلهة ومن حق الخلفاء ان يسيروا سيرة المستخلف من بعده ولا يخالفوه ونحوه فخلفت من بعدهم خلفا من بعد اولئك اعجلتم
الموصوفين بالصفات الحميدة يقال عجل عن الامر اذا تركه غير تام ونقيضه تم عليه واعجله عنه غيره ويضمن معنى سبق فيعدى
تعديته فيقال عجلت الامر والمعنى اعجلتم عن امر ربكم وهو انتظار موسى حافظين لعهده وما وصاكم به فبنيتم الامر على ان
الميعاد قد بلغ آخره ولم ارجع اليكم فحدثتم انفسكم بموتي فغيرتم كما غيرت الامم بعد انبيائهم وروي ان السامري قال لهم حين
اخرج لهم العجل ان هذا الهكم واله موسى ان موسى لن يرجع وانه قد مات وروي انهم عدوا عشرين يوما بلياليها فجعلوها
اربعين ثم احدثوا ما احدثوا والقى الالواح وطرحها لما لحقه من فرط الدهش وشدة الضجر عند استماعه حديث العجل غضبا لله
وحمية لدينه وكان في نفسه حديدا شديد الغضب وكان هرون الين منه جانبا ولذلك كان احب الى بني اسرائيل من موسى
وروي ان التوراة كانت سبعة اسباع فلما القى الالواح تكسرت فرفع منها ستة اسباعها وبقي سبع واحد وذلك اثر ما ورد
عليه من الامر الذي بعث له الهدى والوجد واخذ برأس اخيه اي بشعر رأسه يجره اليه بذوائبه وذلك لشدة ما ورد عليه من الامر
الذي استفزه وذهب بفطنته وظنا باخيه انه فرط في الكف قال ابن ام وقرئ بالفتح تشبيها بخمسة عشر وبالكسر على طرح
ياء الاضافة وابن امي بالياء وابن إم بكسر الهمزة والميم وقيل كان اخاه لابيه وامه فان صح فانما اضافه الى الام اشارة الى انهما
من بطن واحد وذلك ادعى الى العطف والرقة واعظم للحق الواجب ولانها كانت مؤمنة فاعتد بنسبها ولانها هي التي
قاست فيه المخاوف والشدائد فذكره بحقها ان القوم استضعفوني يعني اني لم آل جهدا في كفهم بالوعظ والانذار
وما بلغته طاقتي من بذل القوة في مضادتهم حتى قهروني واستضعفوني ولم يبق الا ان يقتلوني فلا تشمت بي الاعداء
فلا تفعل بي ما هو امنيتهم من الاستهانة بي والاساءة الي وقرئ فلا تَشمت بي الاعداء على الشماتة والمراد ان لا يحل به ما
يشمتون به لاجله ولا تجعلني مع القوم الظالمين ولا تجعلني في موجدتك علي وعقوبتك لي قرينا لهم وصاحبا
او ولا تعتقد اني واحد من الظالمين مع براءتي منهم ومن ظلمهم لما اعتذر اليه اخوه وذكر له شماتة الاعداء قال رب
اغفر لي ولاخي ليرضي اخاه ويظهر لاهل الشماتة رضاه عنه فلا تتم لهم شماتتهم واستغفر لنفسه مما فرط منه الى اخيه
ولاخيه ان عسى فرط في حسن الخلافة وطلب ان لا يتفرقا عن رحمته ولا تزال متضمنة لهما في الدنيا والآخرة غضب من
ربهم وذلة الغضب ما امروا به من قتل انفسهم والذلة خروجهم من ديارهم لان ذل الغربة مثل مضروب وقيل
هو ما نال ابناءهم وهم بنو قريظة والنضير من غضب الله بالقتل والجلاء ومن الذلة بضرب الجزية المفترين المتكذبين
على الله ولا فرية اعظم من قول السامري هذا الهكم واله موسى ويجوز ان يتعلق في الحياة الدنيا بالذلة وحدها ويراد سينالهم
غضب في الآخرة وذلة في الحياة الدنيا كقوله وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله والذين عملوا
السيئات من الكفر والمعاصي كلها ثم تابوا ثم رجعوا من بعدها الى الله واعتذروا اليه وآمنوا واخلصوا الايمان
ان ربك من بعدها من بعد تلك العظائم لغفور لستور عليهم محاء لما كان منهم رحيم منعم عليهم بالجنة وهذا حكم عام
يدخل تحته متخذو العجل ومن عداهم عظم جنايتهم اولا ثم اردفها بعظم رحمته ليعلم ان الذنوب وان جلت وعظمت
فان عفوه وكرمه اعظم واجل ولكن لا بد من حفظ الشريطة وهي وجود التوبة والانابة وما وراءه طمع فارغ واشعبية
باردة لا يلتفت اليها حازم ولما سكت عن موسى الغضب هذا مثل كأن الغضب كان يغريه على ما فعل ويقول له قل
لقومك كذا والق الالواح وجر برأس اخيك اليك فترك النطق بذلك وقطع الاغراء ولم يستحسن هذه الكلمة ولم يستفصحها
كل ذي طبع سليم وذوق صحيح الا لذلك ولانه من قبيل شعب البلاغة والا فما لقراءة معاوية بن قرة ولما سكن عن موسى

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)